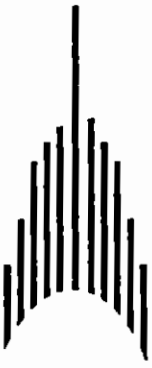

فصل فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

obeikandl.com

obeikandl.com

فصل فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٦-١٤١] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء بعد ذكر هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يذكر ما كان من أمر فرعون وجنوده بعد أن أغرقهم وكيف سلبهم عزهم ومالهم وأنفسهم ، وأورثنا بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم كما قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] ، وقال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥] .

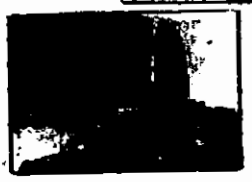

وقال هاهنا : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أى أهلك ذلك جميعه وسلبه عزهم العزيز العريض فى الدنيا ، وهم الملك وحاشيته وأمراؤه وجنوده ، ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا ذكر ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها ، بسبب أن نساء مصر نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة والرعايا ، فكانت لهن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومنا هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم ، وأمروا أن يذبح كل بيت حملاً من الغنم ، فإن كانوا لا يحتاجون إلى حمل ، فليشترك الجار وجاره فيه ، فإذا ذبحوه فلطخوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونهم مطبوخًا ولكن مشويًا برأسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا من شيئًا ولا يكسروا له عظمًا ولا يخرجوا منه شيئًا إلى خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرًا إلى سبعة أيام ابتداؤها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم وكان ذلك فى فصل الربيع فإذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم وليأكلوا بسرعة قيامًا ومهما فضل من عشائهم فما بقى إلى الغد فليحرقوه بالنار وشرع لهم هذا عيدًا لأعقابهم ما دامت التوراة معمولاً بها فإذا نسخت بطل شرعها وقد وقع قالوا وقتل الله عز وجل فى هذه الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ليشتغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين انتصف النهار وأهل مصر في مناحة عظيمة على أبكار أولادهم وأبكار دوابهم ليس من بيت إلا وفيه عويل .

وحين جاء الوحى إلى موسى خرجوا مسرعين ، فحملوا العجين قبل اختماره وحملوا الأزواد فى الأوعية ، وألقوها على عواتقهم ، وكانوا قد

استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى الذرارى بما معهم من الأنعام ، وكانت مدة إقامتهم بمصر أربعمائة سنة وثلاثين سنة هذا نص كتابهم وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد يسمى عيد الفسخ ولهم عيد الفطر وعيد الحمل وهو أول السنة وهذه الأعياد الثلاثة آكد أعيادهم منصوص عليها فى كتابهم .

ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا عن طريق بحر يوسف وكانوا فى النهار يسيرون بين السحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عمود من النار فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هناك فأدركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على الشاطئ اليم فقلق كثير من بنى إسرائيل حتى قال قائلهم : كان بقاؤنا فى مصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية فقال موسى عليه السلام لمن قال هذا المقالة : لا تخشوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا قالوا وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل فى البحر واليبس وصار الماء من هاهنا وهاهنا كالجبلين وصار وسطه يابسًا لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم ولكن عند أهل الكتاب أن هذا كان فى الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلطهم وعدم فهمهم فى تقريبهم والله أعلم .

قالوا : ولما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل بهذا التسبيح للرب وقالوا : نسبح الرب البهى ، الذى قهر الجنود ونبذ فرسانهم فى البحر المنيع المحمود» وهو تسبيح طويل .

قالوا : وأخذت مريم النبية أخت هارون دفًا بيدها وخرجت النساء فى

أثرها كلهن بدفوف وطبول وجعلت مريم النبية ترتل وتقول : سبحان الرب القهار الذى قهر الخيول وركبانها ألقه فى البحر وهكذا رأيته فى كتابهم ولعل هذا هو الذى جعل محمد بن كعب القرظى يزعم أن مريم بنت عمران أم عيسى هى أخت هارون وموسى بقوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ والذى أجاب عنه رسول الله ﷺ عن قول المغيرة بن شعبة عن سؤال أهل نجران عن قوله تعالى ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ فقال «أعلمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم» رواه مسلم .

وقولهم : النبية كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكه ومن بيت الأمرة أميرة وإن لم تكن مباشرة لشيء من ذلك فهى استعارة لها ، لا إنها نبية حقيقية يوحى إليها وضربها بالدف فى هذا اليوم الذى هو من أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب لدف فى العيد وهذا مشروع لنا أيضًا فى حق النساء ، للحديث الوارد فى شأن الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدف فى أيام منى عند رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مضطجع فحول ظهره إليهن ووجهه إلى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : «**دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عيد وهذا عيدنا**» وهكذا يشرع عندنا فى الأعراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم .

وذكر أهل الكتاب أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعافًا أجاجًا لم يستطيعوا شربه فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسننا ووصاه رصايا كثيرة .

●● ●● ●●